الباب السادس

إلى الرفيق الأعلى

"الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى بينت للناس جميع ما تحتاج إليه".

"الإمام جعفر الصادق"

obeikandl.com

إلى الرفيق الأعلى

"إن شفاعتنا لا تنال مستخفا بالصلاة"

"جعفر الصادق"

كان الإمام في لقاءاته الأخيرة مع الخليفة "أبي جعفر المنصور" يقول له: "لا تعجل، لقد بلغت الرابعة والستين وفيها مات أبي وجدي". فلقد كان يحس باقتراب يومه. ويلتمس من ذلك قوة عند اللقاء. تؤيده في الصدام معه والثبات في وجهه، والدفاع عن حقوق الله والناس عنده، وتذكيره بالآخرة.

وهو إلى ذلك يهيئ الدولة، والناس، لما بعد موته.

والناس الذين يتساءلون متى نصر الله، يولون وجوههم شطر الإمام. مذ قطع أبو جعفر أسباب الأمل في الأمان والاطمئنان بالنكال يصبه على من عارضه، وخص أهل البيت بكفل زاخر من عذابه فمال الكثيرون عنه إليهم. ولم يكن باقيا من مشيختهم إلا الإمام الصادق. تهوى إليه الأفئدة من بعيد وقريب. ويتكالب عليه التلامذة من أشياخ العلماء.

ومضت الأيام، والناس بين البأساء والنعماء، والفزع والرجاء. والإمام في دروسه ومجالسه يرسي مبادئه. للأجيال القادمة. ويهدي بالقول والعمل، وبمجرد أن به حياة.

وجاء ذلك اليوم الذي قال فيه، وهو رخي البال: "الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى بينت للناس جميع ما تحتاج إليه".

وهو إفصاح عن اكتمال المذهب الشيعي في تعاليمه، ونظام الدولة الشيعية، إن أمكن أن تظهر، والمجتمع الشيعي في كل حال. وإن شئت قلت مقاله – المجتمع الجعفري، أو مقال الفقهاء: مجتمع "الشيعة الإمامية".

وجاءت ساعة الموت.. وهو في تمام صحوه، وأهل البيت حافون حوله:

قالت زوجه "حميدة" أم الإمام موسى الكاظم، وكانت من البربر، لرجل من أصحابه: لو رأيت أبا عبد الله عند الموت لرأيت عجبا: فتح عينيه ثم قال: "إن شفاعتنا لا تنال مستخفا بالصلاة". أما رواية الإمام موسى الكاظم فنصها: لما حضرت أبي الوفاة قال لي: "يا بني لا ينال شفاعتنا من استخف بالصلاة".

فهذا إمام تنتهي إمامته يعهد لإمام تبدأ أيامه. فينبهه، والنسا، على حقهم في شفاعة أهل البيت، وواجبهم لينالوها، بإقامة عمود الدين.

وتضيف مولاته "سالمة" ساعة الموت حسنات فتقول: "غمي عليه. فلما أفاق قال: أعطوا الحسن بن علي "بن علي بن الحسين" سبعين دينارا، وأعطوا فلانا كذا، وفلانا كذا. قلت: أتعطي رجلا حمل عليك بالشفرة يريد أن يقتلك؟ قال: أتريدون ألا أكون من الذين قال عنهم الله عز وجل: (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب)؟ نعم يا سالمة. إن الله خلق الجنة وطيب ريحها. ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم".

أجل: كان الإمام قطعة من صميم الإسلام. جده عليه الصلاة والسلام "خلقه القرآن" أما هو فخلقه "سنة جده"، وجده يعلن سنته حيث يقول: "أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح".

ويقول: إن أول الواجبات في المال بعد الزكاة "بر الرحم إذا أدبرت".

فالإمام في ساعة الموت يوصي لمن يليه، ويذكر الشفاعة، والصلاة، وصلة الرحم، وهو يريح رائحة الجنة.

* * *

صعدت روح الإمام إلى الرفيق الأعلى في شوال ١٤٨، لتترك أبا جعفر في الفزع الأكبر. فلقد غابت عن الدنيا أسباب سلام يثق بها، ولاح في السماء نجم جديد، بإمام جديد، فليس له به عهد.

وأبو جعفر ليس الرجل الذي ينتظر حتى ينكشف له أمر فيه غرر. بل هو يبتدر الخطر.

قال أبو أيوب الجوزي: بعث إلي أبو جعفر المنصور في جوف الليل فدخلت عليه وهو جالس على الكرسي وبين يديه شمعة. وفي يده كتاب. فلما سلمت عليه رمى الكتاب إلي، وهو يبكي، وقال: هذا ابن سليمان "والي المدينة" يخبرنا أن جعفر بن محمد قد مات. فإنا لله وإنا إليه راجعون. قالها ثلاثا. ثم قال: وأين مثل جعفر؟ ثم قال: اكتب فكتبت صدر الكتاب، ثم قال: "اكتب إن كان قد أوصى إلى رجل يعينه فقدمه واضرب عنقه".

هكذا يأمر بقتل من يجهله. ويحرمه حق المحاكمة لمجرد أن من فحوى الوصية لرجل بعينه أنها رسالة للأمة تعلن الإمام الجديد!

لكن الله كف بطش أبي جعفر. فرجع الجواب إليه أن الإمام أوصى إلى خمسة هم: أبو جعفر المنصور وابن سليمان، وعبد الله وموسى وحميدة. والأخيرون ولدا الإمام وزوجه. فليس هنا وصى بعينه. والأولان أبو جعفر ذاته ووالياه. وليس إلى قتل هؤلاء من سبيل!

وما كانت وصية "الصادق" لأبي جعفر ووالية إلا توصية لهما بالأمة. وتذكيرا لهما بأنهما ملاقيان الله مثله. وأبو جعفر أجدر خلق الله بأن يذكره الناس بالموت. وأن يذكروه عند الموت. إن محبين له وإن مبغضين.

ولما قرن الإمام أبا جعفر بابنيه وزوجه، كان يذكره أن يخاف الله فيهم وفي ذوي رحمه.

* * *

كان أبو جعفر يسابق الموت إلى من تتم الوصية إليه وحده. ففوتت عليه وصية الإمام بغيا، لم يمنعه من مقارفته تساقط دمعه، أو أن يسترجع الله مرات ثلاثة، وكأنه يجعل الدمع مدادا لأمر يهتبل الفرصة لإصداره، ليقطع رأس إمام جديد من أهل البيت يطاف بها في المدائن.

وأنسته شياطين الفزع والطمع، أن يذكر ما علمه الصادق من صلة الرحم. وازداد نسيانا يوم لا أحد ينسى!

وجرى المهدي والرشيد في أثر أبي جعفر يهتدون به،ويدسون الجواسيس ليعرفوا من يجتمع إليه الناس بعد موت الإمام – سأل سائل موسى الكاظم فقال الكاظم: "إذا هدأت الرجل انقطعت الطريق فأقبل" وسأله آخر فقال له: "سل تخبر. ولا تذع. فإن أذعت فإنه الذبح".

بل كان هشام بن سالم ينبه زملاءه الشيعة حتى لا يقعوا في حبائل أبي جعفر.

وظاهر من ذلك أن المجالس العظيمة، التي كانت تنعقد في حياة الإمام الصادق، قد ولى زمانها.

* * *

ولي الإمامة موسى الكاظم بعد أبيه فتتابع في حياته عهد الهادي ثم عهد الرشيد. واقتصر كما سيقتصر الأئمة من بعده، على العلم وإمامة الدين، دون أن يمدوا عينا أو فكرا إلى الخلافة الدنيوية. ومع هذا حبس الرشيد الإمام الكاظم حتى سنة ١٨٣، ثم أمر فأدخل الناس السجن ليروه ميتا، ليس به آثار قتل، والشيعة يقولون: مات مسموما.

وخلف الكاظم في الإمامة ابنه علي الرضا، حتى إذا صار المأمون خليفة ولاه عهده، على رغمه، سنة ٢٠١، وأمر ابنه وبني العباس بمبايعته. فصنعوا. وزوجه من بنته "أم حبيب" في سنة ٢٠٢. كما زوج ابنه محمدا الجواد بنته "أم الفضل". إلا أن عليا الرضا مات سنة ٢٠٣ فجأة! مسموما، في أكلة عنب، كما يقولون، في أثناء عودته في ركب المأمون من مرو إلى بغداد! وفي رحلة العودة هذه، وفي ركب المأمون ذاته، قتل وزيره الذي دبر له كل أمره – الفضل بن سهل – وكان شديد التشيع.

وتوجه محمد الجواد بزوجته إلى المدينة – بعيدا من بغداد. فلما ولي المعتصم أشخصه إليها. فقدمها لليلتين بقيتا من المحرم سنة ٢٢٠. وفي نهاية السنة مات. والناس تقول في موته ما قالوه عن موت أبيه وجده وما سيقولونه في موت ابنه علي الهادي بعد أن صار إماما استقدمه الخليفة إلى العسكر في سر من رأى حيث قصر الخلافة. فلما مات الهادي سنة ٢٥٤ – قام بالإمامة ابنه الحسن الخالص حتى سنة ٢٦٠ عام وفاته، ليخلفه ابنه محمد آخر الأئمة الاثنى عشر... قالوا: دخل سردابا فلم يرجع. والناس ينتظرون رجوعه... وهو عند الشيعة الإمامية "المهدي المنتظر"[١٣٥].

---

(١٣٥) الأئمة الإثنا عشر

علي (١)

بهذا التاريخ يختم الأئمة الاثنا عشر حقبة من الزمن علموا فيها المسلمين العلم الذي آل إليهم عن آبائهم – عن طريق الإمام الصادق – بعيدين عن السلطة، مدركين جلال ما يقدمون للأمة، من تراث جدهم ﷺ. يعضون عليه بالنواجذ، ويبرئونه من الزيوف. ويتبرءون ممن غلوا فيهم(١٣٦).

محمد بن الحنفية	(٢) الحسن (٥٠)	(٣) الحسين	٦١
أبوهاشم (٩٨)	عبد الله	(٤) علي زين العابدين	٩٤
		(٥) محمد الباقر	١١٤
	محمـــد إبـــراهيم.	(٦) جعفر الصادق	١٤٨
	يحيى. إدريس		
		(٧) موسى الكاظم	١٨٣ إسماعيل
		(٨) علي الرضا	٢٠٣
		(٩) محمد الجواد	٢٢٠ محمد
		(١٠) علي الهادي	٢٥٤
		(١١) الحسن العسكري	٢٦٠ سعيد (عبيد الله المهدي)
		(١٢) محمد المنتظر. ولد بسامرا سنة ٢٥٦ واختفى بعد سنة ٢٦٠	

(١٣٦) من الفرق الغالية – العميرية "أصحاب عمير بن بيان العجلي" عبدوا جعفر الصادق فتبرأ منهم. وصله يزيد بن هبيرة والي بني أمية سنة ١٢٨. ومنها أتباع أبي الخطاب الأسدي "محمد بن أبي زينب" – زعيم الخطابية – زعم أن جعفرا إله فتبرأ منه الإمام فادعى الألوهية نفسه. وحاربه المنصور وأسر، وصلبه في الكوفة – ومنها البزيغية "أصحاب بزيع بن موسى" عبدوا جعفر الصادق "والمعمرية: أصحاب "معمر بن الخيثم" – الخياط بالكوفة. وهم فرقة من الخطابية يقولون إن النور خرج من جعفر ودخل في أبي الخطاب فصار جعفر ملاكا وأبو الخطاب إلها.

و"المفضلية" أصحاب المفضل بن عمر الصيرفي (١٧٠) يقولون بإمامة محمد وألوهية جعفر.

"والسرية" أصحاب السري بن منصور (٢٠٠) يقولون إن السرى رسول جعفر. وجعفر هو الله والسلام والإسلام. وكانوا في الحج يقولون: لبيك يا جعفر لبيك.

ويقول ابن النديم في الفهرست إن أتباع أبي الخطاب أظهرتهم الفرقة الميمونية – أي الإسماعيلية – ويقول النوبختي (٣١٠) عن أتباع أبي الخطاب، خرج من قال بمقالته من أهل الكوفة وغيرهم إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر فدخلوا في فرقته أتباع محمد بن إسماعيل "الإسماعيلية".

أقامت الأمم الإسلامية الدول تترى، في القارات الثلاثة في العالم المعروف، منتسبة إلى أهل البيت من أبناء الحسين أو أبناء عمومتهم، ومجتمعات مزدهرة، وحضارات يضرب بها الأمثال، في العراق واليمن وخراسان وإيران وأفغانستان وباكستان والهند ولبنان وسورية والكويت والبحرين وشرق أفريقية وكثير سواها.

وفي المغرب أقام الدولة الإدريسية إدريس بن إدريس بن عبد الله "أخي الشهداء الثلاثة محمد وإبراهيم ويحيى أبناء عبد الله بن الحسن" وكان قد فر إلى المغرب الأقصى عن طريق مصر سنة ١٧٢ هاربا من بطش الرشيد.

ثم قيل: بعث إليه الرشيد من سمه.

وفي المشرق قامت دولة أخرى على يد الحسن بن زيد بن.. الحسن (٢٥٠ – ٢٧٠) وأعقبه فيها أخوه. وهما فقيهان زيديان.

وقامت الدولة الساسانية بخراسان. عاصمتها بخارى في روسيا السوفيتية الآن.

وأقام أئمة الشيعة الإسماعيلية دولة كبرى في أفريقية وآسيا "الدولة الفاطمية". ثم قامت الدولة الإمامية الكبرى في إيران حيث بقيت العقيدة الإمامية والفقه الإمامي عقيدة وشريعة حتى اليوم. وسيطرت الدولة البويهية (٣٢٤ – ٤٤٧) على الخلافة العباسية بتمامها. ووضعت مراسم التشيع وأعياده. فجعلت يوم كربلاء مأتما قوميا، يوم الغدير عيدا إسلاميا.

وأمر معز الدولة بن بويه فكتب على المساجد في بغداد "لعن الله معاوية بن أبي سفيان. ولعن من غصب فدكا. ومن منع أن يدفن الحسن في قبر جده عليه السلام. ومن نفى أبا ذر الغفاري. ومن أخرج العباس من الشورى" فحكه الناس. فاكتفى بأن أمر أن يكتب على المساجد "لعن الله الظالمين لآل رسول الله ﷺ" وأمر ألا يذكر في اللعن إلا معاوية.

وتحول بنو بويه عن زيديتهم، وسلكوا مسلكا إماميا. وولوا الشريف أبا أحمد نقابة الطالبين وإمارة الحج. بل ولوا ابنه الشريف الرضى النيابة عن الخلافة العباسية. ومع ذلك كان بين حين وآخر يشعر بالسخط فيجري على لسانه الشعر الذي يمجد الخلافة الإسماعيلية.

أي عـــذر إلـــى المجـــد إن ذل ل غـــلام فـــي غمـــده المشـــرفي

ألـبس الـذل فـي ديـار الأعـادي وبمصـــــر الخليفـــــة العلـــــوي!

فهذا زعيم إمامي: يفاخر بخليفة إسماعيلي. وهو في الوقت ذاته قد ولي نيابة الخليفة السني.

obeikandl.com

عدالة السماء

والدول – كالكائنات الحية وكالأفراد والمجتمعات – تشتق قانونها من أسباب وجودها. وتلتزمه فتبقى وتسلم. أو تخرج عليه فتفقد سببا أو أكثر من أسباب تقدمها ونمائها. وربما فقدت سبب بقائها. وكلما أصابها السقم رجعت إلى سبب وجودها تلتمس السلامة.

لقد نشأت الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي على قواعد الإسلام في السنة الأولى للهجرة. فأخضعت دول العالم المعروف في بضعة عشر عاما، من حياة النبي وأصحابه. وأقامت المجتمع الأفضل الذي صنع على يد الرسول وعلى عينه.

وكلما أبعد المسلمون من هذا الفضل، قل الشبه في الصورة عنه في الأصل. وكلما فكروا في العودة إلى الأمر ولوا وجوههم شطره. وما هو إلا عمل النبي وآله وصحبه.

فكل عمل أو بحث لإقامة الدول المثلى لمجتمع مسلم، يتجه بالطبيعة إلى أيام النبوة، والعمل بالقرآن والسنة.

وآل النبي هم أقرب الرجال إلى الصميم من ذلك وإلى قلوب الأمة. وهم أرفع شعار يمكن تحريك الجموع به.. فهم أهل النبي والقرآن والسنة جميعا، لا بالعرق وحده، وإنما بسيرتهم التي ليس لها في التاريخ نظير.

والإمام الصادق يتوهج كالنجم الثاقب في هذه السماء. فهو مدرسة العلم مع الزهادة في السلطة. وهو إمام فقه في الدين والعلم. وصاحب مناهج للدنيا. ومعلم للإصلاح والتشريع والسياسة والاقتصاد. وهي الوسائل المحركة للتقدم في جميع الأمم.

فلا عجب أن كانت دعوات الإصلاح، ودعاءات الرجاء، في كل العصور، تلتمس في علمه المدون، وسيرته التي يمجدها المسلمون، ذكريات فضائل تمشي على الأرض، وتطبيقات

مفلحة، لتعاليم كفيلة بإقامة حكم صالح يرد الحكام إلى الدين. ويعيد الدين غضا في أنفس الناس كما كان في أفئدة السلف الصالح.

ويتراءى مصداق هذه الحقيقة "للقانون الطبيعي" للإسلام، أو للطبيعة الدينية للمجتمع المسلم، في قيام الدولة العباسية بدعوى "تصحيح التاريخ" وبشعار "الدعوة إلى الرضا من آل محمد". فلما أجهضت هذه الدولة مبادئها بخعت نفسها. فصارت ملكا عضودا خيراته للملوك.

فلم يك معدى من إعادة التصحيح بالعودة إلى رسالة النبي وتعاليمه وآله.

وإنما انحرفت الدولة الإسلامية في تجاربها التي أقامتها الدول الأموية والمروانية والعباسية لغصبها حقوق أهل البيت، ونصبها العداء لهم، في موجة انصراف الحكام، عن مصالح الأمة وشريعتها، إلى شهواتهم. فتصحيح التاريخ يبدأ بإقرار حق علي وأبناء النبي والعمل بالشريعة.

والتاريخ خاضع لقانون الطبيعة أو قانون الحركة "لكل فعل رد فعل. مساو له في المقدار. ومضاد له في الاتجاه".

والحقائق الكبرى في التاريخ، كالظواهر العظمى في الطبيعة، لا تخفى. والذي يخفى الحرارة أو البرودة لا يبغته الغليان أو التجمد، أو رعدة الحمى أو رعشة البرد. والذي يخفي الضغط الجوي لا يأخذه الانفجار أخذ الفجاءة.

"وعمر بن عبد العزيز" "والمأمون" هما الانفجاران المحتومان في دولتي بني مروان وبني العباس. لأنهما الممثلان الصادقان للضمير الإسلامي، في الدولة أو الجماعة أو الأفراد، أو في العلم أو الحكم أو العدل أو الجهاد. على رأس المائة الأولى ورأس المائة الثانية.

* * *

أما عمر فنما في أكناف بيت طالما حاول طمس فضائل علي. فلما شب عن الطوق أصبح يعلن للناس إسرار أبيه له أن الناس لو عرفوا فضائل علي لانصرفوا إليه عن دولتهم، حتى إذا ولي إمرة المدينة أبطل سب علي على المنابر.وكان عمر يرزح تحت الرقابة الشديدة من الخليفة الوليد، والسابق المجنون من الحجاج لظلم بني علي، مع استرضاء بني مروان للحجاج، حتى ليعزل الوليد عمر بن عبد العزيز ﷺ، لإرضاء الحجاج بن يوسف الثقفي!!

فلما ولي عمر الخلافة أقسم أن يتخذها طريقا إلى الجنة. فرد لأهل البيت مظالمهم وأعاد لهم "فدكا".. وبعث إليهم عشرة آلاف دينار ليعوضهم عما سلبهم سابقوه. وكانت الشهور الثلاثون – مدة خلافته – تلقى على كاهل رجل هزل الورع جسده، أعباء الدين والدنيا، يدرك أن أيامه معدودات، ويتهمه أهله بأنه يوشك أن يخرج الخلافة منهم إلى بني علي.

بل أعلن عمر أنه لو استطاع لعهد بالخلافة لمن كان مثله. قال:

"لو كان لي من الأمر شئ لاستخلفت أعيمش بني تيم القاسم بن محمد بن أبي بكر". وهو العليم أن محمدا ترعرع في حجر "علي" قبل أن يستخلف. وأنه حارب معه معاوية. فلما ولاه مصر، باء بدمه قواد معاوية. فهو عدو بني أمية من كل وجه. وأن "القاسم" همزة الوصل بين الصديق وبين "أهل البيت". بنته أم فروة تحت جناح الباقر، وابنهما "جعفر الصادق" في عنفوان صباه، أمل تتجه الأبصار تلقاءه(١٣٧).

---

(١٣٧) أتى "العمري" مالكا فقال له: يا أبا عبد الله. بايعني أهل الحرمين. وأنت ترى سيرة أبي جعفر فما ترى؟ فقال له مالك: أتدري ما الذي منع عمر بن عبد العزيز أن يولي رجلا صالحا؟ قال: لا أدري. قال مالك:

وأما "المأمون" فعبقري العلم، سواء العلم الديني من أصول وفقه ودين وحديث، أوالعلم العام، وفيه التاريخ والفلسفة والعلوم التطبيقية والرياضية والفلكية حيث له في جوار قصره مرصد يرصد فيه النجوم. وهو بطل حروب "ورجل دولة" عالمي. لا يعرف التاريخ، من عهد اليونان والرومان حتى الآن، ملكا بلغ مبالغة في كل أولئك مجتمعا. وهو يقف في القمة من الدولة العباسية. فمن بعده بدأ الانحدار. وكانت الأعوام السبعون التي انصرفت من عمرها وانحرفت في إبانها تشير إلى الحاجة إلى عقل عبقري فيه إنصاف. ليحدث عودا على بدء. فأعلن تشيعه. بل عهد من بعده لإمام الشيعة في عصره. بل زوجه وابنه من بنتين له(١٣٨).

ولقد كان حقيقا أن يبلغ غرضه لولا أن الإمام "عليا الرضا" مات فجأة، كمثل ما كان السياسيون في العهد العباسي يموتون فجأة! ولولا أن المأمون رأى أن يأمن في سربه انتقاضات أهله، بعد إذ حاربوه بجيوشهم لمدة عامين، من جراء تشيعه، لكان قد ولي عهده، بعد علي الرضا زوج بنته الأخرى، الإمام التاسع محمدا الجواد.

وكانت خلافة المأمون تمثل حكما يحاول أن يستقر على "أساس ديني". وهذا ظاهر في عهده لعلي الرضا. وعلى "أساس علمي" وهذا ظاهر في عمله لإلزام الناس برأي المعتزلة. وعلى "سند سياسي"، ليقدر على مقاومة تيارات تتناوشه من شتى الجهات، سياسية كالوافدة من الفرس والروم، أو عائلية كنزاعات أهله، أو فكرية كالقضايا التي آلت إلى المسلمين من مواريث اليهودية والمسيحية. يحمل ألوية الجدال فيها المعتزلة.. والمأمون من كبرائهم.

ولما فقد الذين جاءوا بعده قدرتهم على التوازن بين الزوابع، كهيئة توازنه، آلت الدولة إلى الترك، وتتابع تقسيمها أقاليم ودولا. ولم يعد للدين في الدول الجديدة الكلمة العليا، بل أصبحت

لكني أنا أدري، إنما كانت البيعة ليزيد "بن عبد الملك" بعده، فخاف عمر إن ولى رجلا صالحا أن لا يكون ليزيد بد من القيام، فتقوم هجمة ويفسد ما لا يصلح.

(١٣٨) وفي سنة ٢١١ أمر المأمون فنودي "برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير وفضله على أحد من الصحابة" كما أمر بتفضيل الإمام علي. وأنه أفضل الناس بعد رسول الله. وأوصى أخاه المعتصم بقوله: "وهؤلاء بنو عمك من ولد أمير المؤمنين علي. فأحسن صحبتهم. وتجاوز عن مسيئهم. واقبل من محسنهم. وصلاتهم فلا تغفلها في كل سنة عند محلها. فإن حقوقهم تجب من وجوه شتى".

للمعايش والأرزاق ومداراة الحكام. وبهذا دب التدهور في الأفراد والمجتمعات والدولة. وأفسدت الدولة الفرد وأفسد الفرد، بدوره، الدولة.

* * *

ومن تصحيح التاريخ للأشياء كانت أول دولة استقلت عن بني العباس في القرن الثاني دولة إدريس بن إدريس بن عبد الله في المغرب فدولة الحسن بن زيد في المشرق.

وتتابعت الدول في القرن الثالث بخراسان ومصر وأفريقية وفي اليمن حيث ملك القاسم بن إبراهيم (٢٤٦ – ٢٨٦) وإليه تنسب الزيدية القاسمية. ثم الهادي بن القاسم وإليه ينسب الهادوية. وبقيت دولة الشيعة باليمن حتى إعلان الجمهورية سنة ١٩٦٢ للميلاد.

وفي القرن الرابع قامت دولة بني بويه (٣٢٤ – ٤٤٧ – ٩٤٥ – ١٠٥٥) وهي شيعة زيدية في العراق وفارس حيث عاصمتهم شيراز. وقام الحمدانيون في العراق والشام (٣١٧ – ٣٥٨). وهم شيعة إمامية يذكر الإسلام لهم الدفاع عنه ضد غزوات الإمبراطورية الرومانية من بيزنطة. وتدين لهم الأمة العربية بأحسن أشعار أبي الطيب المتنبي، وبشعر أبي فراس الحمداني، وفلسفة الفارابي فيلسوف المسلمين – المعلم الأول عند العرب – أو المعلم الثاني في العالم حيث أرسطو هو المعلم الأول.

وفي القرن الخامس كان بنو حمود بالأندلس (٤٠٧ – ٤٤٧) وهم من أبناء الأدارسة – وفي القرن السادس كان ابن تومرت "... بن عبد الرحمن.. بن محمد بن الحسن بن علي" مؤسس دولة الموحدين، وكانت خطبة الجمعة عندهم تشتمل على الصلاة عليه باعتباره الإمام المرحوم المهدي "المعلوم" وإن كانت دولته ودولة الأدارسة أو بني حمود، أو الدولة الفاطمية، تحكم شعوبا سنية. ولا شك أن كبرى الدول التي أقامها الشيعة كانت الدولة الفاطمية "الإسماعيلية".

الإسماعيلية[١٣٩]:

قامت الدولة الفاطمية "نسبة إلى فاطمة الزهراء" في المغرب ثم مصر منتسبة إلى "إسماعيل" بن الإمام جعفر الصادق، وكان قد مات في حياة الصادق.

والإسماعيلية ينفون ذلك. ومنهم من يقول إن أباه ادعى موته اتقاء لأذى أبي جعفر المنصور له.

وفي أواخر القرن كان عبد الله بن ميمون القداح (١٩٨) من أتباع الخطابية، ينشر دعوة لنفسه بالبلاد. فأجابه حمدان بن الأشعث – قرمط – ثم مات القداح، فخلفه أبناؤه ودعوا لأنفسهم باعتبار أنهم من ولد عقيل. ثم هرب أ؛فاده إلى المغرب في أفريقية. وبجهدهم أو جهد "منصور اليمن – ابن حوشب – ٢٦٦" في بلاد المغرب ظهر عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية سنة ٢٩٨ لتبقى دولة عظمى حتى سنة ٥٦٧. فتحت جيوشها فسطاط مصر في ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ (٩٦٩/٧/٧). وفي ليلة الفتح وضع جوهر الصقلي قائد الجيش حجارة الأساس لمدينة القاهرة. وتم بناؤها في رمضان سنة ٣٧١.

وفتح الأزهر للصلاة في الشهر ذاته وهو يوافق يونيو – يوليو سنة ٩٧٢ وفي صفر سنة ٣٦٥ عقد القاضي أبو علي الحسن بن النعمان أول حلقاته في الجامع الأزهر، فكان أول مدرس فيه – فدرس للناس مختصر أبيه في فقه آل البيت.

وفي سنة ٣٦٦ عين أبو علي بن النعمان قاضيا للقضاة. فعرفت مصر هذه الوظيفة لأول مرة.

هكذا نشأ الأزهر معهدا شيعيا. ثم صار جامعة لكل علوم الإسلام.

---

(١٣٩) ويلقبون – في مراجع أهل السنة – ألقابا أخرى. أهمها "الباطنية".

وهكذا نشرت الدولة الفاطمية ألوية الإسلام وعلوم الشيعة في مصر والشام والحجاز ووسط آسيا، وأقامت مدينة القاهرة، وأنشأت الجامع الأزهر،وخطب لها في مكة والمدينة على المنابر.

وفي سنة ٤٥٠ خطب لها الخطباء على منابر بغداد لمدة نحو عام(١٤٠).

وعليها خرجت طائفة الدروز التي ألهت "الحاكم بأمر الله" فقاتلهم المصريون فهربوا إلى الشام سنة ٤٠٨. أما "الحاكم بأمر الله" فقد شاركت في قتله أخته "ست الملك" لاضطهاده رعيته وفساد آرائه كما قيل. وكانت أمها جارية رومية قبطية من سراري الخليفة العزيز بالله.

وكان التسامح الديني من تقاليد هذه الدولة حتى صار حديث التاريخ. ولقد عين العزيز بالله أرسانيوس، وأريسطيس، "خالي ست الملك" بطريقين للاسكندرية وليبت المقدس. فقوى نفوذ

---

(١٤٠) خلفاء الدولة الفاطمية: عبيد الله المهدي – مؤسس الدولة – ٢٣٣ – المنصور ٣٤١ – المعز لدين الله ٣٦٥ – العزيز بالله ٣٨٦ – الحاكم بأمر الله ٤١٢ – الظاهر المستنصر (من ٤٢٧ حتى ٤٨٧) ثم تعاقب الآمر والحافظ فالظاهر والفائز والعاضد. وهو الذي أنهى صلاح الدين الدولة الفاطمية بخلعه سنة ٥٦٧.

وبسط الفاطميون سلطانهم على أفريقية من المحيط الأطلسي حتى برزخ السويس والشام وكانت لهم السلطة في اليمن.ولولا هزيمة جيوشهم أمام الأتراك بقيادة طغرل بك سنة ٤٥١ لبلغوا جبال الهملايا. وإنما أبقى الأتراك الخلفاء العباسيين لمقاومة الفاطميين.

ففي ذي القعدة سنة ٤٥٠ دخل البساسيري على رأس إمدادات عسكرية من مصر وخطب في جامع المنصور للخليفة الفاطمي المستنصر أربعين جمعة – وأرسلت عمامة الخليفة العباسي "القائم" إلى القاهرة فبقيت فيها أكثر من قرن. وكسر الفاتحون منبر المسجد الجامع وهم يقولون: "هذا منبر نحس أعلن عليه بغض آل محمد" ولما وردت إلى مصر الأخبار بذلك غنى المغنون أما المستنصر غناء هو في صميمه إعلان "بعدالة التاريخ".

يا بني العباس زدوا ملك الأمر معد (اسم المستنصر)

ملككم ملك معار والعواري تسترد

وبالنفوذ الفاطمي تقوى الشيعة الإمامية في العراق وفارس. وتقوى الإسماعيلية في فارس.

النصارى في الدولة. وكان وزيره يعقوب بن كلس يهوديا أسلم. وهو الذي نظم التدريس في الأزهر[١٤١].

أما الإسماعيلية في المشرق فعلا نجمهم على يد الحسن بن الصباح. وقد أمضى سنوات بمصر اتصل في إبانها بالخليفة المستنصر، فدعا له بعد أن عاد إلى إقليم فارس. ثم دعا من بعده لابنه نزار. وفي سنة ٤٨٣ استولى على قلعة ألموت. ثم اشتد ساعده بأصفهان. وسيطر الحسن بن الصباح بأساليب السياسة العادية وغير العادية على أقاليم كبيرة في فارس. فقتل أتباعه الوزير نظام الملك (٤٠٨ – ٤٨٥) – منشئ المدرسة النظامية في بغداد[١٤٢] وفي سنة ٥٠٠ قتلوا الوزير فخر الدين كما قتلوا من فقهائها الشافعية المشهورين: أبا المظفر الخجندي سنة ٤٩٦، وتلميذه أبا جعفر المشاط سنة ٤٩٨ وأبا المحاسن بن إسماعيل الروياني سنة ٥٠٢. وكان يقول:"لو احترقت كتب الشافعي لأمليتها".

ولا مراء في أن الخلاف بين الإسماعيلية وبين المدرسة النظامية راجع إلى الخصومة الشديدة التي تتبدى في الصحيفة ٦٧ من كتاب "سياسة نامة" الذي يدين بوجوده "لنظام الملك" وفيها وجوب الطعن في "الروافض" ووصفهم بأنهم مارقون عن الدين.

ولما صار الحسن بن الصباح داعي الدعاة للنزارية الفاطمية، أبى أن يدعي الإمامة، حتى توفي سنة ٥١٨. فخلفه آخرون.انتسب واحد منهم إلى نسل "نزار" الفاطمي[١٤٣].. وفي سنة ٦٥٤ استولى هولاكو على معاقلهم فقصدوا إلى الشام والهند.

---

(١٤١) وكان الخليفتان المعز والعزيز يعقدان مجالس للمناظرة بين المسيحيين والسملمين ومن التسامح أذنت الدولة بأعياد الغطاس ورأس السنة والنيروز وسائر أعياد النصارى.

(١٤٢) من تلاميذ المدرسة النظامية السعدي شاعر الفرس الكبير. وعماد الدين الأصفهاني. وبهاء الدين بن شداد – عاملا صلاح الدين – وابن تومرت مؤسس دولة الموحدين في أفريقية. وأبو إسحق الشيرازي أول أشياخها. ومن أشياخ المدرسة وتلاميذها الغزلي صاحب الكتاب الشهير في فضائح "الباطنية".

(١٤٣) أصهر الخليفة المستنصر (٤٢٧ – ٤٨٧) إلى قائده الأرمني الأصل بدر الجمالي ولما مات المستنصر كان ولي عهده ابنه "نزار" فولى بدر مكانه ابن أخته "المستعلى" وحبس نزارا حتى قتله فأصبحت الشيعة في مصر مستعلية.ومنها إسماعيلية اليمن وبعض بلاد الشام. ومن إسماعيلية اليمن ذهب الدعاة إلى الهند فقامت الإسماعيلية البهرة. "والبهرة معناها تاجر" – وأصبح الإسماعيلية في الهند وإيران والشام نزارية.

وفي الشام حالفوا الرهبان الصليبيين فترة، وخالفوا صلاح الدين فترة، ودخل أتباعهم خيمته في عسكره وطعنوه بخناجرهم. ومنهم الفدائيون الذين قتلوا أمير طرابلس الصليبي "الكونت ريمون".

ويمتاز الإسماعيلية بالتنظيم والدعاية السريين. وأنهم يطورون أمورهم.

ومن التطور، ومراعاة مقتضى الحال، وجد التباين في تعاليمهم من وقت لآخر، لكن الأصل الأصيل عندهم هو أن الإمام المعصوم من نسل محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق.

وللإسماعيلية مركز عظيم في بومباي – وهم يدافعون عن الإسلام حينما يكونون: يرون الإمامة سبعية تتم بالإمام السابع. وهو إسماعيل ثم تبدأ دورة جديدة أئمتها مستورون. ومن الاستتار لم يعرف بالضبط كثير من أمورهم. واتسمت دعايتهم بالسرية مع دقة تنظيمها.

وهم يجعلون للأئمة صفات "باطنية" غير بشرية لا يعرفها الآخرون، وتؤخذ علبهم أشعار الشعراء المشهورين منهم مثل ابن هانئ الأندلسي الذي يقول للخليفة الفاطمي:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم أنت الواحد القهار!

والأخفش يقول للخليفة الآمر:

بشر في العين إلا أنه عن طريق العقل نور وهدى

جل أن تدركه أعيننا وتعالى أن تراه جسدا

وقول شاعر آخر:

هذا أمير المؤمنين بمجلس أبصرت فيه العقل والتنزيلا

وإذا تمثل راكبا في مجلس عاينت تحت ركابه جبريلا!

والأمير تميم بن معد يمدح أخاه الخليفة العزيز بالله فيقول:

مضى من العلة الأولى التي سبقت خلق الهيولي وبسط الأرض والمطر

وعندهم أن من قام بالطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والولاية، لكنه عصى الإمام، فطاعته غير مقبولة.

وهم يذهبون إلى أن لكل ظاهر "باطنا" وأن تأويل الباطن من عند الله، اختص به علي بن أبي طالب. ومن ذلك يقولون بمشاركة علي للنبي. ويستدلون بقصة موسى مع الرجل الصالح في "سورة الكهف". ويفسرون القرآن تفسيراتهم. ويقولون إن نور الله حل بالإمام.

ومن تعاليمهم ما تأثر بفلسفات الأقدمين.

وللشيعة الإسماعيلية في العصور الحديثة مواقف مشهورة في الدفاع عن الإسلام ونشره.

* * *

كانت الدولة الفاطمية أكبر دول العالم، قوة عسكرة وفكرية، في العصور الوسطى. تتمثل فيها وحدة المسلمين وسماحة الدين(١٤٤).

---

(١٤٤) سبق الفاطميين بمصر (٣٥٨ – ٥٦٧): الإخشيديون. وكانوا ينشرون التسامح الديني فيها. وقد خصص المقريزي فصلين للكنائس والأديرة وحسن التفاهم بين المسلمين والمسيحيين، وبخاصة في الدولة الفاطمية.

ولم يعكر صوف هذا التفاهم إلا أيام الحاكم بأمر الله. ثم جاء الظاهر (٤١١ – ٤٢٧) فالمستنصر (٤٢٧ – ٤٦٧) يعاقب قائده بالقتل لقيامه باضطهاد المسيحيين. وكان أسقف الأشمونين ساويرس يجادل الفقهاء، المسلمين، في أمور الدين. وتولى الخليفة الآمر (من سنة ٤٨٥ حتى سنة ٥٢٥) وكان يزور الأديرة ويصادق الرهبان ومن خواص كتابه "أبو نجاح" وهو مسيحي.

وفي هذا الجو ظهر نوابغ المسيحيين ابتداء من ساويرس بن المقفع (٣٢٨) وهو مؤلف كتاب الرد على اليهود والمعتزلة. ورسالة عن التثليث. وأخرى في الرد على النساطرة. وشرح الإنجيل وتاريخ المجامع الكنيسة. وفي القرن السادس ظهر أولاد العسال الثلاثة: أبو الفرج والصفي وأبو إسحق. وظهر المكين جرجس المتوفى سنة ٦٧٢.

وفيها أثبتت وحدة القاعدة القانونية في الأمة، بل وحدة الدين في المذاهب، اقتدارها على أن تجمع المسلمين في دولة واحدة، هي أعظم الدول حضارة في القارات المعروفة في ذلك الزمان، عاصمتها مصر – القاهرة، وجامعتها الأزهر. سعد فيها المسلمون والمسيحيون واليهود والذميون، حتى غزاها من الداخل انقسام شعوبها، وقيام إمارات شتى، وسفه الوزراء، وضعف الخلفاء.

وأغرى غزو شعوبها أنفسهم في داخلها، بانقسامهم وتفككهم، الصليبيين، ليقوموا بالغزو الخارجي. وصدهم المسلمون مرات، حتى إذا ادلهم الخطب، استعانت الدولة الشيعية في مصر بالدولة السنية في دمشق وعلى رأسها السلطان نور الدين محمود (٥٦٩). أستاذ صلاح الدين (٥٨٩) ليثبت أهل مصر والشام أن الإسلام واحد وإن اختلفت المذاهب.

ولما وحد صلاح الدين إمارات المسلمين في بضع سنين من الموصل إلى حلب ودمشق والقاهرة، استقام له المحور القوي، فنهد للقاء الصليبيين ونصره الله في حطين. وهذا درس في الوحدة مطلوب إلى المسلمين أن يتدارسوه.

* * *

والمجتمع الإسلامي ينماز من المجتمعات المعاصرة بأنه مجتمع ديني الأساس بأطوار تاريخه وطبيعته، وبأن تعاليم القرآن والسنة هي غذاؤه اليومي، وهواؤه النقي، الذي يتنفسه المسلمون.

العائلة فيه محكومة بقوانين دينية وتقاليد إسلامية، في الزواج والطلاق والأبوة والبنوة والنفقة والحضانة وسائر علاقات الأسرة.

والفرد فيه واقف بين يدي الله على مدار ساعات النهار وزلفا من الليل.

وقديما اصطنع عمر بن الخطاب الكتاب من سبي قيسارية. واستعمل أبو موسى الأشعري كاتبا نصرانيا. وكان بنو أمية يستعملون ابن أثال الطبيب النصراني ويضعون عنه الجزية.

والمجتمع كله مفروض عليه، فرض وجوب، والفرد مفروض عليه، فرض كفاية، أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر. أي يتكافل في دفع كل خروج على الدين.

بهذا صار الحفاظ على الإسلام وقيمه مسئولية قانونية وعامة. وأصبح التمييز بين الحلال والحرام حجر الأساس في المجتمع، وفي علاقات الأفراد والأسرة. وأمسى لزاما على كل دولة إسلامية أن تتآخى أواخي الدين، وهي تنظر إلى المصالح المادية والسياسية، لها، والناس.

ولقد بقى الأمر كذلك طوال القرون العشرة التي كانت فيها الدول الإسلامية مستقلة، تتعلم علومها الحضارة الغربية، حتى إذا اضمحلت، ران الظلام السياسي والركود الاقتصادي على القلوب. فانتقلت شمس الحضارة من الشرق إلى الغرب في أوروبة، وبدأت العصور الحديثة وحضارتها الأوربية في الظهور، منذ ختام القرن الخامس عشر للميلاد.

ولم يكن مصادفة وإنما كان لزاما للتحلل والتقاطع والتخاذل، أن يبدأ طرد العرب – في ذلك القرن – من أسبانيا. وأن تكون محاولات طردهم معاصرة للثورات الدينية في المسيحية، وللإرهاب الديني في دولها، وأن يكون نصيب المسلمين من هذا الإرهاب فوق ما يتصور البشر، من العذاب والتقتيل والتحريق والتنصير، بل قتل من ينتصر بدعوى عدم الإخلاص في التنصر!!

وفي ظلمات الجهالة والتخلف بهرت المقهورين حضارة أوربة فلم تبق لهم ذاتهم، ولمي صيروا أوربيين. وعجزوا عن أن يطردوا الغزو الأوربي، في حين قدر آباؤهم على دفع الغزو الصليبي لأنهم كانوا أقرب إلى القيم الإسلامية.

وتلاحق التدهور إلى بداية النهضة الحديثة للمسلمين. حتى إذا أخذت الشعوب الإسلامية بأسباب العلم، نظرت إلى داخلها تلتمس القوة من ذاتها،فاستشعرت حقائق القوة في طاقاتها. وعادت تلتمس الأسباب في صميم حضارتها، وفي تمسكها بعقيدتها، التي اشتقت منها

منهجها العلمي. وهو الذي صار "المنهج العلمي العالمي" الذي نقلته عنها أوروبة منذ القرون الوسطى[١٤٥].

* * *

والتاريخ معلم كبير.

وأول علومه: أن كثيرا من صفحاته تتكرر. وأنه خطاب مستمر، مفتوح السجل لكل ذي بصر.

ويعلمنا التاريخ أن الوحدة هي التي تصنع النصر. سواء أكانت وحدة شاملة، كمثل ما كان الأمر في الصدر الأول، أم كانت وحدة للحرب، كما صنع الخليفة الفاطمي "الشيعي" وسلطان دمشق "السني"، لرد غائلة الصليبيين. أم وحدة القوى كما صنع صلاح الدين ليعيد بيت المقدس للمسلمين...

كل أولئك صيحات عالية بأن الإسلام واحد، كلما جد خطر. وأن الاعتصام به مصدر الظفر.

ولما اتحد العرب، وتجمع المسلمون، بعد العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ حتى العالم هاماته لهم.

ويعلمنا التاريخ أن أمتنا بلغت شأوها كلما استمسكت بعقيدتها والتزمت تعاليمها، وأن التقصير في جانب الدين كالخرق الواسع، لا يبقى على شئ مهما يجمع الناس.

---

(١٤٥) يراجع كتاب "القرآن والمنهج العلمي المعاصر" للمؤلف – طبعة دار المعارف ص١٦٩ إلى ١٩٢.

والمصلحون الاجتماعيون والسياسيون، الذين تعمى أبصارهم عن هذه الحقيقة، يضربون في حديد بارد.

إنه تعالى يقول: (ويريكم آياته. فأي آيات الله تنكرون. أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم).

* * *

والعمل بالقيم الإسلامية داع إلى سن القانون الإسلامي الموحد لتجري أمور المسلمين، ومعاملاتهم كافة، وعقوباتهم إذا انحرفوا عن الجادة، على نسق واحد. يسمو بهم في معاملاتهم كل يوم. ويمن الجريمة، وينتشل الهلكى من أعماق السجون. ويصون المعنى التعبدي في كل حكم فقهي، والجانب الإنساني في كل حكم جنائي.

ولا جرم أن تقنين الفقه الإسلامي والعمل به هو الإسهام الأعظم منا في الحضارة المعاصرة، وبأعظم ما نملك من القيم. ونحن قادرون على ذلك باستعمال مصادرنا العلمية.

وأين من شرع الله قوانين البشر!

والخطر اليوم يملأ الأفق: لقد تطرقت إلى الأرض العربية والإسلامية الدعوات الإلحادية والمادية المدمرة للقوى الذاتية للأمة، يؤيدها امتياز القوة، والمال المبذول بسخاء، والتكنولوجيا التي تخطف البصر. ورفع الاستعمار الفكري والسياسي والاقتصادي أعلامه عالية!

وما التبشير الديني الأوروبي والأمريكي في بلدان المسلمين إلا وجه واحد من وجوهه.

أما الغزو الداخلي للإسلام – من داخل مجتمعات المسلمين – فشر مكانا وأنفذ أثرا. والأوروبيون – من كل معسكر – يسلطون علينا أسبابه.

إن التاريخ يعلمنا أن وجود إسرائيل في الأرض التي كان الصليبيون يحتلونها – بالذات – ليس مصادفة. بل هو فكر غربي قديم. أقام بالفعل، وبالقوة، دولة صليبية – هنا – في هذا المكان.

وإنما يكرر الفكر الأوروبي نفسه، بعد سبعة قرون، بغرس دولة "يهودية"، بدلا من دولة "صليبية"، في القلب، من جسم العرب.

وإسرائيل دولة "دينية" مد الغرب إلينا بها مخالبه. والدفاع ضد دولة دينية يهودية يقتضي الالتجاء إلى القيم الدينية، وإن لم يستلزم إقامة دولة دينية.

ولقد طالما استعملت أوربة الأسلحة الدينية ضد المسلمين(١٤٦).

---

(١٤٦) كان فرسان المعبد Templars Knights of the Temple جنودا محاربين علمية الجيوش الصليبية في كل الحروب. وكان على ميسرتها الفرسان الاسبتالية Hospitalars وكلا التنظيمين تنظيم رهبان متقشفين لا يتزوجون. والأولون عملهم حربي محض ضد المسلمين. وما تزل كنيسة المعبد في لندن Temple Church شاهدة بعمل فرسان المعبد. وفيالق التبشير منذئذ، تفد علينا من دول أوروبة وأمريكا، مستعملة كل الأسلحة، مالية أو علمية أو طبية أو اجتماعية أو سياسية. وكثيرا ما عملت في خدمة الجيوش المحاربة أو عملت الجيوش في خدمتها. أما العالم الشيوعي فيصدر إلى الشرق والغرب أفكار الملحدين.

إن الحضارة الأوروبية – من شرق وغرب – تحسب حساب "قوة عربية إسلامية" في مفترق الطرق إلى العالم، وفي ملتقى المصالح للدول العظمى، وأنها قوة يبلغ عددها الآن مائة مليون. قد تكون مائتين في نهاية القرن الميلادي يزخر إقليمها بأسباب القوة، وتتصع صحراواتها بالمعادن، فتضئ في صور الأقمار الصناعية الدائرة حول الأرض ليل نهار.

والحضارة الأوربية تحسب حسابا آخر لاجتماع المسلمين على "المبادئ" التي سادوا بها كلما اجتمعوا.

والحضارة الأوروبية، أو الأمريكية، وإن كانت ذات منهاج وثني، راسخة الجذور في الفكر الديني(١٤٧). لقد كانت "الحرب الصليبية" صيحة التجمع لشعوب أوروبة المشتتة في العصور الوسطى، وكانت معاهدة "وستفاليا" راسمة حدود دولها الحالية من (١٦٤٨). وهي نصفان: نصف "ديني" لإرضاء البروتستنت ونصف سياسي "لمنع الحروب الدينية" – بعد منح حرية العقيدة.

وهذه المجتمعات والدول في أوروبة وأمريكا، آخذة الآن في العودة إلى الدين، وإلى التكتل تحت أسماء أو صور مختلفة، كالحلف أو المعاهدة أو المنظمة أو المؤتمر. ومنها السياسي والاقتصادي والعلمي والاجتماعي.

فما أحرنا أن نتحد على تسامح الإسلام وقيمه العالية. لنبقى ونقوى. ألا و"إن هذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله".

---

(١٤٧) للبحث عن الحرية الدينية وصلت السفينة زهرة الربيع Mayflower براكبيها في ٢١ ديسمبر سنة ١٦٢٠ إلى شواطئ أمريكا لينشئوا مستعمرة "انجلترا الجديدة" ويطلق عليهم "الآباء الحجاج" وأعقبهم طلاب "حرية دينية" آخرون بلغوا في السنوات العشرة من سنة ١٦٣٠ إلى ١٦٤٠ عشرين ألفا.

وهؤلاء نواة الولايات المتحدة الأمريكية أما دول أمريكا الجنوبية فنواتها الأسبان وأهل البرتغال الذين صنعوا بالمسلمين ما صنعوا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر للميلاد.

فهرس المراجع

١- الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: أسد حيدر.

٢- الإمام الصادق: محمد أبو زهرة.

٣- الشيعة وأصولها: الإمام محمد الحسين آل كاشف الغطاء.

٤- المختصر النافع في فقه الإمامية: أبو القاسم نجم الدين جعفر الحلي (٦٧٦).

٥- الروضة البهية شرح اللمعة الدمشقية: الشهيد زين الدين الجبعي العاملي.

٦- النص والاجتهاد: الإمام عبد الحسين شرف الديني الموسوي.

٧- المراجعات: الإمام عبد الحسين شرف الدين الموسوي.

٨- فقه الإمام جعفر الصادق: محمد جواد مغنية.

٩- الشيعة في الميزان: محمد جواد مغنية.

١٠- مع الشيعة الإمامية: محمد جواد مغنية.

١١- تسهيل الأحكام: السيد محمد الحسيني الشيرازي.

obeikandl.com

١٢- تاريخ الفقه الجعفري: هاشم معروف الحسيني.

١٣- المسئولية الجزائية في الفقه الجعفري: هاشم معروف الحسيني.

١٤- عقيدة الشيعة في الإمام الصادق: حسين يوسف مكي العاملي.

١٥- قواعد استنباط الأحكام: حسين يوسف مكي العاملي.

١٦- أصول الفقه: محمد رضا المظفر المطبعة العلمية ١٩٥٩.

١٧- فقه الصادق: محمد الحسيني الروحاني.

١٨- فلسفة الإمام الصادق: محمد الجواد الجزائري.

١٩- أمالي الطوسي: جزءان الأول والثاني.

٢٠- عقيدة الشيعة: رونلدسن تعريب ع. م. م. مكتبة الخانجي مصر.

٢١- لماذا اخترت مذهب الشيعة: محمد مرعي الأمين الأنطاكي – مطبعة الآداب.

٢٢- فضل آل البيت: المقريزي.

٢٣- جعفر بن محمد: عبد العزيز سيد الأهل.

٢٤- الإمام جعفر الصادق: أحمد مغنية.

obeikandl.com

٢٥- الإمام الصادق – ملهم الكيمياء:د. محمد يحيى الهاشمي.

٢٦- الإمام الصادق علم وعقيدة: رمضان لاوند.

٢٧- الإمام الصادق – معلم الإنسان: عبد الرسول الدريني.

٢٨- مقاتل الطالبيين: أبو الفرج الأصفهاني.

٢٩- نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنا عشرية: د. أحمد محمود صبحي.

٣٠- الشيعة والرجعة: محمد رضا الطبسي النجفي.

٣١- تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة: د. عبد الله فياض.

٣٢- تاريخ التربية عند الإمامية: د. عبد الله فياض.

٣٣- الاجتهاد ومدى حاجة الأمة إليه في هذا العصرِ: د. سيد موسى توانا.

٣٤- مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في الإسلام: د. علي سامي النشار.

٣٥- طائفة الإسماعيلية: د. محمد كامل حسين.

٣٦- تاريخ العلويين: محمد غالب الطويل.

٣٧- اتعاظ الحنفا في أخبار الأئمة الفاطميين الخلفا: المقريزي – طبعة المجلس الأهلي للشئون الإسلامية.

٣٨- الرد الجمل: الغزالي – طبع مجمع البحوث بالأزهر.

٣٩- تاريخ التشريع الإسلامي: محمد الخضري.

٤٠- يسر الإسلام وسماحته: محمد رشيد رضا.

٤١- الاعتصام: أبي إسحق الشاطبي.

٤٢- السنة ومكانتها في التشريع: مصطفى السباعي.

٤٣- الفقه الإسلامي أساس التشريع: طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٤٤- دعوة التقريب من خلال رسالة الإسلام: طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٤٥- عثمان: طه حسين.

٤٦- علي وبنوه: طه حسين.

٤٧- حياة أمير المؤمنين: السيد محمد صادق الصدر.

٤٨- أبو الشهداء الحسين بن علي: عباس محمود العقاد.

٤٩- أبناء الرسول في كربلاء: خالد محمد خالد.

٥٠- زين العابدين: د. عبد الحليم محمود.

٥١- زينب رضي الله عنها: علي أحمد شلبي.

٥٢- نحو تقنين للمعاملات والعقوبات من الفقه الإسلامي. عبد الحليم الجندي طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٥٣- الشافعي: محمد أبو زهرة.

٥٤- جابر بن حيان: د. زكي نجيب محمود.

٥٥- الفهرست: ابن النديم.

٥٦- الدرر في اختصار المغازي والسير: ابن عبد البر.

٥٧- المعجب في تلخيص أخبار المغرب: عبد الواحد المراكشي المتوفى سنة ٦٤٧.

٥٨- النجوم الزاهرة: ابن تغري بردي.

٥٩- حضارة الإسلام في عز العرب: محمد كرد علي.

٦٠- أحمد بن حنبل إمام أهل السنة: عبد الحليم الجندي.

٦١- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي: د. حسن إبراهيم حسن.

٦٢- الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها: د. عبد الحميد العبادي – د. مصطفى زيادة – د. إبراهيم العدوي.

٦٣- دراسات في التاريخ الإسلامي: د. محمد محمود زيادة.

٦٤- أدبيات اللغة العربية: محمد عاطف بركات بك وآخرين طبع وزارة المعارف بمصر.

٦٥- تراجم إسلامية – شرقية وأندلسية: محمد عبد الله عنان.

٦٦- تراث الإسلام الجزءان الأول والثاني لجنة النشر للجامعيين.

٦٧- الإمامة والسياسة: ابن قتيبة.

٦٨- منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم: د. عبد الوهاب فايد.

٦٩- ثورة زيد بن علي: ناجي حسن.

٧٠- التشيع وأثره في شعر العصر العباسي الأول: د. محسن فياض.

٧١- الحماسة في شعر الشريف الرضي: محمد جميل شلش.

٧٢- قاموس الأعلام: خير الدين الزركلي.

للمؤلف

١	القرآن والمنهج العلمي المعاصر	طبعة دار المعارف بالقاهرة
٢	أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح	طبعة دار المعارف بالقاهرة
٣	الإمام الشافعي ناصر السنة وواضع الأصول	طبعة دار المعارف بالقاهرة
٤	مالك بن أنس إمام دار الهجرة	طبعة دار المعارف بالقاهرة
٥	أحمد بن حنبل إمام أهل السنة	طبعة دار المعارف بالقاهرة
٦	الإمام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفي	طبعة دار المعارف بالقاهرة
٧	الإمام محمد عبده	طبعة دار المعارف بالقاهرة

obeikandi.com

٨ الشريعة الإسلامية — طبعة دار المعارف

٩ نحو تقنين جديد للمعاملات والعقوبات من الفقه الإسلامي — طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

١٠ أئمة الفقه الإسلامي — طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

١١ المحامون وسيادة القانون — طبعة دار الاتحاد العربي

١٢ مجموعة مذكرات قضائية جزء أول — طبعة إدارة قضايا الحكومة بمصر

١٣ جزء ثان — طبعة إدارة قضايا الحكومة بمصر

١٤ توحيد الأمة العربية — طبعة وزارة الثقافة بمصر

١٥ تطوير التشريعات — طبعة وزارة الثقافة بمصر

١٦ من أجل مصر البطل (أحمد عصمت) أبحاث منشورة — المطبعة التجارية – مصر

١٧	الشريعة الإسلامية مصدر رئيس للتشريع (أبحاث منشورة)	بحث مقدم لمجلس الأمة المصري عند إعداد الدستور سنة ١٩٧١
١٨	الشبهات التي تثار حول تطبيق الشريعة – في العصر الحديث – بحث مقدم لمؤتمر الفقه الإسلامي بالرياض سنة ٧٦	مجلة إدارة قضايا الدولة سنة ١٩٧٨
١٩	نحو تقنين جديد للعقوبات من الفقه الإسلامي	بحث مقدم للمؤتمر الثامن لمجمع البحوث بالأزهر
٢٠	نحو قانون للمعاملات من الفقه الإسلامي	بحث بالانجليزية ألقي في احتفالات مهرجان العالم الإسلامي لندن سنة ١٩٧٦
٢١	نحو مشروع للدستور الإسلامي	بحث ألقي في المؤتمر العالمي للعيد الألفي للأزهر (مارس ١٩٨٣) مطبوعات المؤتمر
٢٢	أثر دعوة محمد بن عبد الوهاب على الدعوات الأخرى	بحث مقدم لمؤتمر محمد بن عبد الوهاب –جامعة محمد بن سعود – الرياض ١٩٧٩ ملحق اقتراح بإنشاء مجمع الفقه الإسلامي

٢٣ بطلان التفتيش بغير إذن	مجلة المحاماة سنة ١٩٣٣
٢٤ تصرفات السفهاء قبل الحجر	مجلة المحاماة سنة ١٩٣٧
٢٥ التشريع العربي	كتاب الوطن العربي دار المعارف

obeikandl.com

رقم الإيداع ٣١٧٢/ ١٩٨٦

الترقيم الدولي ٩ – ١٦٥٦ – ٠٢ – ٩٧٧ ISBN

٣٥/ ٨٥/ ١

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)

obeikandl.com